هو الذي يصوغ علاقاته الشعورية، ويسلك به وجهة في الحياة دون أخرى. وأكثر ما يؤثر فيه من هذين ما يساوق استعداده النفسي، فلمأجد بقدرالكدتكتسب المعالي سأحمل روحي على راحتي فإما حياة تسر الصديق لا تحسب الذ تمرا أنت آكله إذاً غامرت في شرف مروم والسلبي تعجبه المأثورات الدالة على القناعة، وأحَبه إليه هذه الأبيات: دع الأيام تفعل ما تشاء وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد دع المقادير تجري في أعْنتها يغير االله من حال إلى حال وما يشاكلها من المسليات التي تطَيب خاطره، والمرء الذي يركن إلى التكيف مع كل واقع تعجبه المأثورات الشعبية التي تدل على ذلك، والكريم الأِنف الذي يأبى الضيم، ولا يقبل أنصاف الحلول تعجبه المأثورات الدالة على أن النفع وطُب نفسا إذا نزل القضاء عسى نكبات الدهر عنك تزول ولا تبيتنْ إلا خاليَ البال ما بين غمضة عين وانتباهتها 166)1(ٌذيبالأخلاق، وأن مرارة العواقب ما ينبغي أن تحمل على إتيان ما ينال منها؛ ويكون ما وعى من تلك المأثورات مثُبتا له على قراره، ويصنع علاقته بما يعدل عنه وما يعدل إليه. إن قَدر على تجاوز كثير منها، بعد أن يعيد صياغة نفسه، إما بالنقلة إلى مجتمع جديد، وإما بالقراءة التي تستنبت في عقله وشعوره ثقافة غير ثقافته، نبتت معهما كانتزاع الروح من البدن: فيه غير قليل من المشقة، وإن تفاوت الناس فيه كما يتفاوتون في شدة سكرات الموت، وقد فطن سيدنا عمر ـ ـ إلى ما تصنع ثقافة المأثورات في العقول، وبتشبيب القلوب صقلها وتقويتها واستثارٌها. وقال أحد ملوك بني أمية لمؤدب أولاده: "روٌهم الشعر، فقد كان الشعر في زمان عمر وزمان بني أمية، فمن رواه اكتسب منه ثقافة، تقوده إلى الذ والنجدة، وانظر ـ إن شئت دليلا لذلك ـ إلى قول الأحيمر السعدي، مفضلا أن يسرق على أن يسأل أو يقعد في بطالة؛ فيما كان يأخذ به نفسه من الغزو والغارات: أقِّليعليْاللوم، فإنلمتشتهيالنومفاسهري ذريني ونفسي، تستعين به النساء في قضاء حاجٌأن؛ إذ ليست له همة تتصرف به في بلوغ ما هو خير مما رضي لنفسه، ليأخذ ما يرمى به من الأسقاط، ويعدَ أغنى لياليه الليلة التي يدعوه فيها صديق موسر إلى طعام. فهم يتطلعون إلى غارته تطٌلع أهل المسافر إلى أوبته. أما الأول فيقَبحه ويصوره صورة تنفر منها النفس، ومباينة أخلاق الرجولة، لأًا تدعوه إلى أن يكون على حال، وهو إنما يريد أن يكون مثل الثاني الذي صوره صورة تحببه إلى النفس. يترتب عليها قبول فعله أو رفضه، فمن ثم كان حرص الشعوب على الآداب وتخليدها؛ لأًا وسيلتها إلى صياغة شعور الناشئة وعقولها، وكان عمر ـ ـ يقف بالمرصاد للمأثورات التي تستنبت الكسل والتواكل، أو يمكن أن يفهم منها ما يكون سببا فيهما، فقد وجد مرة أبا هريرة ـ ـ يحدٌث بحديث من أحاديث المبشرات، فدفعه في صدره حتى سقط على قفاه، وقال له: "دع الناس يعملون". وروى أبو بكر ـ ـ قال: قال لي رسول االله ـ ـ: "اخرج فناد في الناس: "من شهد أن لا إله إلا االله وأني رسول االله وجبت له الجنة"، فقال عمر: "ارجع إلى رسول االله ـ ـ فقل له: "دع الناس يعملون؛ فإني أخاف أن يتكلوا عليها"، فرجعت إلى رسول االله ـ ـ، فلما قلَّ نظراء عمر في الفقه، على وجه ترتب عليه الكسل والتواكل، والإعراض عن عمارة الأرض، وكان أكثر الشعوب تقبلا لهذا الفهم الشعوب التي هي أميل إلى الكسل والسلبية، وأقرب بطبعها إلى الزهد غير الإيجابي. وتفكير كتفكير العجائز، تستنبتها في شعورنا وعقولنا مأثوراتٌ ومعارف جديدة، وأكثر ما يعين على ذلك قرءاة نتاج الشعوب في طور الفتوة والإقبال، فلا تزيد إلا خبالا، وإن كانت أقرب إلى قلوب الشعوب الكسلة؛ لأًا تعفيها من العمل الذي تشنؤه،

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي